من أين يبدأ التاريخ؟

من أكثر القصص المحببة إلى قلب «آدم» هي قصة معرفتي بخبر حملي فيه وصور السونار وهو يكبر داخل رحمي وكيف أعددت المنزل لاستقباله وكيف أعددت نفسي وحياتي للترحيب به. يحب «آدم» قصة سبوعه وطقوس السبوع ويقول للجميع إنه كبر في حضني. من هنا يبدأ التاريخ! يبدأ من الطفل وتكوينه وميلاده. يبدأ من أسرة الطفل وعائلته. يبدأ من العلاقة بين الأم والأب والأخوات والخالات والعمات والجدود والجدات. في شجرة عائلتنا هناك أماكن لحيواناتنا الأليفة. الأحياء منهم والأموات.

لم تهتم «ماريا مونتيسوري» بكبر الشجرة أو كثرة أوراقها، ولكنها اهتمت بتوضيح العلاقات بين الأفراد من خلال أوراق وفروع الشجرة! يحب «آدم» أن يسألني عن أم أمي وأم أبي وكيف أن أم أبي وأم عمتي وأم عمي هي نفس الشخص. يحب أن يعرف الكثير عن حياتهم وقصصهم ومغامراتهم. الطفل بطبيعته يحب أن يفهم العلاقات ويجد راحة في الترتيب والنظام.

بعد ميلاده وشجرة عائلته، يتعلم الطفل تعاقب الأيام من خلال توثيق يومه لمدة أسبوع

كامل ليرى أن يومه يبدأ في نفس التوقيت بنفس الطقوس وينتهي في نفس التوقيت وبنفس الطقوس. هناك أشياء تتكرر كل يوم مثل الوجبات وأنشطة محددة وهناك أشياء تتكرر مرة كل أسبوع وهناك أشياء تتكرر مرتين في الأسبوع وهكذا. تستمر دروس التاريخ لدراسة الفصول وتعاقبها وكيف تدور الأرض حول الشمس وكيف يتعاقب الليل والنهار وأطوار القمر.

تتسع دائرة التاريخ لتشمل تعريف الطفل بتاريخ مشاهير ممن يهتم بهم! في فصول المونتيسوري أول شخص يتعرف الطفل على تاريخه هو «ماريا مونتيسوري»! في بيتنا توجد صور ومقتطفات عن مشاهير الموسيقا الكلاسيكية ومشاهير الرسامين. إذا كان الطفل شغوفًا بكرة القدم، فلنبدأ بتقديم مشاهير كرة القدم، وإذا كان شغوفًا بالكهرباء فلنبدأ بأشهر المخترعين وهكذا! عندما تناولت «ماريا مونتيسوري» المشاهير، ذكرت بعض المعلومات عن طفولتهم والكثير من المعلومات عن إنجازاتهم وركزت على تأثير تلك الإنجازات على عالمنا اليوم.

الهدف الأساسي من دراسة التاريخ هو أن يكبر الطفل وهو مدرك أن الماضي هو حجر أساس الحاضر، وأنه بأفعاله سوف يؤثر في مستقبل البشرية على كوكب الأرض. يتعلم الطفل أن له بصمة وأن بإمكانه التأثير في أجيال كثيرة قادمة! الأمثلة التي تضربها للطفل كثيرة، منها استهلاك المياه والتلوث والمخلفات واستخدام المبيدات وغيرها من الأشياء التي تؤثر على توازن الكوكب وموارده.

أما المستقبل، فيتعلمه الطفل من خلال التدريب على ترقب الأحداث المستقبلية! ترقب حدث مهم سيحضره الطفل أو رحلة سيقوم بها. ترقب مسرحية سوف تعرض أو سياسي مهم سوف يزور المدينة أو شخص مؤثر سوف يزورنا. في فصول المونتيسوري، توجد لوحة كبيرة يقوم الطفل والمدرسة بلصق أوراق من الجرائد والمجلات المحلية التي تعلن عن الأحداث المهمة التي تتكرر سنويًّا أو مرة كل شهر أو نادرًا! تشمل الأحداث الظواهر الكونية والفلكية المهمة وبداية الفصول وبداية كل شهر وأعياد ميلاد العائلة والأصدقاء في كل شهر.

من خلال دراستها للأطفال، تعلمت «ماريا مونتيسوري» أن الطفل قبل 6 سنوات

يعتقد أنه محور الكون، وهذا سبب تصرفاته التي يفسرها البالغون بالأنانية والنرجسية! يظن الطفل أن العالم يدور حوله وأن طلباته واحتياجاته كلها مهمة وعاجلة وملحة! يصعب على الطفل في هذه السن المبكرة الانتظار أو الصبر أو تقدير الوقت! وكلما صغر سنه كلما صعب على عقله تصنيف الأحداث زمنيًّا، يتداخل الحاضر والماضي والمستقبل وتلتبس الأيام والشهور والمواسم، ويشير إلى الأمس وكأنه اليوم ويشير إلى أحداث الصباح وكأنها أحداث الأمس، ويصعب عليه تخيل الغد أو الأسبوع المقبل أو أي شيء في المستقبل.

الطفل في أول عام لا يدرك أن أمه كائن منفصل ويظن أنها امتداد له أو جزء منه، ويحتاج إلى عام آخر من التدريب لتستطيع ذاكرته استحضار صورتها في غيابها، ويحتاج إلى أعوام كثيرة من النمو العقلي والاجتماعي ليدرك أن هناك أشخاصًا غيره في العالم، وأن تصرفاته تؤثر فيمن حوله، وأن تصرفات من حوله تؤثر فيه! لهذا لم تبدأ «ماريا مونتيسوري» منهج التاريخ كما يبدأ في كتب التعليم التقليدي! بدأت من حيث يقف الطفل وتحدثت من منظوره وخاطبت اهتماماته! هكذا تشعل ذكاء الطفل وشغفه لدراسة التاريخ.

مبادئ دراسة التاريخ في نهج المونتيسوري هي معرفة تاريخ اليوم وأيام الأسبوع وأسماء الشهور والعام الحالي. يبدأ تعليم الطفل التاريخ بداية من تاريخ ميلاده! قبل عيد ميلاد الطفل بيوم واحد، قولوا لطفلكم أن الغد هو عيد ميلاده الرابع، مثلًا! وأحضروا فرخًا من ورق الكارتون الأصفر أو الأبيض وصمغًا وصورًا كثيرة للطفل خلال الأربع سنوات الماضية. رتبوا الصور زمنيًّا بكتابة رقم على ظهر كل صورة ثم اعرضوا الصور على الطفل بداية من صور عامه الأول، أول صورة له وهو حديث الولادة، أول صورة له وهو عمره شهر، أول صورة له يستحم، ويرضع، ويجلس مستندًا إلى الوسادات، ويجلس بدون الاستناد إلى شيء، ويأكل شيئًا في يده، ويمسك مكعبات، ويحبو، ويقف، ويأخذ أولى خطواته. بعد لصق الصور تحدثوا عن كل صورة باستخدام الفعل الماضي وادعوا الطفل لملاحظة شكله والاختلاف في قدراته ومهاراته ونوع ملابسه.

اشرحوا للطفل كيف يمر العام بفصوله الأربعة، أول شتاء، أول ربيع، أول صيف، أول خريف.

ثم قوموا برص الصف الثاني من الصور، وقولوا لطفلكم: «هذه مجموعة صور لك في عامك الثاني. لقد مر عام آخر» وكرروا المواسم وتعاقبها ليعرف الطفل كيف مر عامه الثاني.

يتكرر نفس الشرح في العام الثالث والرابع. ثم ذكروه أن عيد ميلاده غدًا، وأن هذا هو بداية عامه الخامس، وسوف يمر كما مرت الأعوام السابقة، وسوف يزداد طوله ويزداد وزنه وتزداد مهاراته، وسوف تتعاقب المواسم.

يوم عيد الميلاد نفسه أحضروا مجسمًا لكوكب الأرض وأحضروا شكل شمس كبيرة مستديرة مشعة وأحضروا شمعة صغيرة في كوب زجاجي صغير. يمكنكم تقسيم المنضدة إلى الفصول الأربعة ويمكنكم كتابة اسم شهور كل فصل. سوف يمسك الطفل بمجسم كوكب الأرض، وسوف توضع الشمس في وسط المنضدة، وسوف تضاء الشمعة في كوبها الزجاجي، وتوضع فوق الشمس في المنتصف. اشرحوا للطفل أن ضوء الشمعة هو ضوء الشمس، وأن مجسم كوكب الأرض هو رمز لحياتنا على الكوكب. سوف يبدأ الطفل الممسك بالمجسم باللف ببطء حول المنضدة وسوف يرى كيف يتغير ضوء الشمس على الكوكب الذي يحمله وكيف تمر الشهور وتتعاقب الفصول. عندما يكمل اللفة ويعود إلى نقطة البداية قل له إن عامًا قد مضى. يمكن للطفل أن يكرر اللف حسب عدد سنوات عمره، ويمكنك سرد أحداث العام الماضي ببطء وبإيجاز ليربط الطفل بين تاريخه الشخصي ومرور الوقت والشهور والمواسم المختلفة.

يمكنكم بعد ذلك تهنئته وإطفاء الشمعة، وفتح حديث حول أمنياته للسنة القادمة. يجب أن يكون الحديث مبسطًا ومحددًا ويمكنكم اتباع الصور في السنوات الماضية الملصقة على فرخ الكارتون لمساعدته في تكوين أفكاره عن المستقبل.